أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
ISSN 2773-2940 EISSN2800-1435 المجلد 04 العدد (مارس، 2022) ص 23 إلى 46

التناوب بين حروف العطف وأثره في تعدد المعنى
دراسة في آيات قرآنية

Alternation in Conjunctions and their Impact in Meaning Study in Quranic Verses

عيسى تومي*

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة. الجزائر، aissa.toumi2012@gmail.com

تاريخ الإرسال	2021/11/24م	تاريخ القبول	2022/01/07م

ملخص

حروف العطف من أكثر حروف المعاني استعمالا ودورانا في الكلام، ووظيفتها الربط بين المعطوف والمعطوف عليه، والأصل أن يكون لكل حرف منها معنى خاص به؛ يُميزه عن غيره، إلّا أنه قد يعدل عن هذا الأصل فيأتي الحرف منها على غير معناه الأصلي فيخرج عن أصل وضعه إلى معان أخرى ممّا ينتج عنه تعدد في معنى الكلام الذي يرد فيه. وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى تتبعه والكشف عنه من خلال آراء بعض النحاة والمفسرين في هذه المسألة.

الكلمات مفتاحية: حروف العطف؛ التناوب؛ تعدد المعنى؛ النحاة؛ المفسرون

Abstract

Conjunctions are the most used words in speech. They link other words, phrases, or clauses together. Different kinds of conjunctions join different kinds of grammatical structures. A given word may have several senses, being either a preposition or conjunction depending on syntax of the sentence. The present study attempts to investigate the invariable grammatical particle of the conjunctions according to grammarians in this issue.

Keywords: Conjunctions; Alternation; Multi-meaning; Grammarians; Interpreters**.**

* المؤلف المرسل

1.مقدمة:

تعد مسألة التناوب بين حروف المعاني - ومنها حروف العطف - من المسائل التي أثارت جدلا كبيرا بين النحاة، وقد نشأ عن ذلك خلاف بين الدارسين منذ القديم، إذ في الوقت الذي قصر النحاة البصريون هذه المسألة على ما سُمِع منها، ولم يتعدّوه ومنعوا القياس عليه، نجد النحاة الكوفيين يُجيزون هذه المسألة ويتوسّعون فيها، ويرون أنّ حروف العطف كثيرا ما ينوب بعضها عن بعض فيأتي الحرف منها على غير معناه الأصلي، ومن ذلك مجيء (أو) العاطفة بمعنى (الواو) وبمعنى (بل) للدلالة على الإضراب، ومجيء (الواو) بمعنى (أو) و (الفاء)، ومجيء (الفاء) بدلا من (الواو) و(ثم)، ومجيء (ثم) بدلا عن (الواو) و(الفاء)... ولهم في كلّ ذلك نصوص يحتجون بها من القرآن الكريم ومن كلام العرب الفصيح.

وفيما يلي بيان لبعض المواضع التي جاءت فيها حروف العطف على غير معناها الأصلي في بعض الآيات القرآنية من خلال آراء بعض النحاة والمفسرين، وأثر هذا التناوب في تعدد المعنى.

2. مجيء حرف العطف (أو) بمعنى (الواو) و (بل):

من المعلوم لدى النحاة أن المعنى الأصلي الموضوعة له (أو) العاطفة إنما هو الدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء؛ لأن مبناها على عدم الاشتراك، لكن قد يتفرع عن هذه الدلالة الأصلية معانٍ أخرى تفهم من السياق بدلالة القرائن، ومن هذه المعاني: التخيير، والإباحة في الطلب، والشك، والإبهام، والتقسيم أو التنويع، وغيرهما في الخبر. **(المرادي، 1992، ص231)** ومن المعاني الفرعية التي قد تدل عليها (أو) بالقرينة وتخرج إليها؛ معنيان تصير فيهما نائبة عن غيرها ومؤدية لمعنى هو في الأصل يؤدَّى بغيرها من حروف العطف، وهذان المعنيان هما: معنى (الواو) في مطلق الجمع، ومعنى (بل) في الإضراب؛ وهو ما ذكره كثير من النحاة.(ابن مالك، 1990، ص348،347)

1.2 مجيء حرف العطف (أو) بمعنى (الواو):

الأصل في حرف العطف (أو) عند جمهور النحاة هو إشراك المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب لا في المعنى. لأنك إذا قلت: قام زيدٌ أو عمرو. فالفعل واقع من أحدهما.

قال ابن مالك: إنها تشرك المتعاطفين في الإعراب والمعنى لأنّ ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لأجله؛ ألا ترى أنّ كل واحد منهما مشكوك في قيامه وكلاهما صحيح. (ابن مالك، 1990، ص348،347، والمرادي، 1992، ص228، 229) فقد يستعمل حرف العطف (أو) بمعنى (الواو) عند أمن اللبس، فيجيء في بعض الأحيان ويراد به مطلق الجمع بين المتعاطفين؛ (المرادي، 1992، ص229، 230 وابن هشام، 1991، ص74 والسيوطي، دت، ص204) لأنه كما لمّا كثُر استعمال (أو) في الإباحة التي معناها جواز الجمع بين المتعاطفين، جاز استعمالها بمعنى الواو. (الرضي الأستراباذي، 1996، ص1327)

قال ابن مالك: وربما عاقبت الواو إذا ... لم يلف ذو النطق للبس منفذا. أي: تأتي (أو) بمعنى (الواو) إذا أُؤتمن اللبس. ويكثر هذا إذا كانت (أو) عاطفة لما لا بد منه، أو لما يتحتم ذكره، وذلك كأن تجيء (أو) بعد (بين)، أو (سواء)، أو (سيان)، أو بعد كل ما يتطلب أو يستلزم ذكر شيئين اثنين، وهو كثير في كلام العرب. ومنه قول امرئ القيس:

فظلّ طُهاة اللحمِ ما بين مُنضجٍ .... صفيفُ شواءٍ أو قديرٍ مُعجّلِ.(ديوان امرئ القيس، د ت، ص22). أي صفيف شواء وقدير معجّل. ومنه كذلك قول الشاعر: قومٌ إذا سمعوا الصّريخ رأيتهُم .... من بين ملجمِ مُهرِهِ أو سافعِ .

وقول الآخر: وكان سيان ألّا يسرحوا نَعما .... أو يسرحوهُ بها واغبرّت السّوحُ. (ابن جني، د ت، ص348 وأبو حيان، 1993، ص151، والأشموني، 1955، ص424،423)

وإذا كانت (بين) و(سواء) و(سيان) لا تستعمل – في الأصل – إلا بالواو؛ لأن كلًّا منهما يقتضي شيئين اثنين؛ إذ تفيد التسوية بين الشيئين، والبينية بينهما والتي هي من المعاني التي لا يعطف فيها إلا بـ(الواو)، فإنّ مجيء (أو) بعدها دل على أنها بمعنى (الواو)، وأنها تفيد الجمع بين المتعاطفين حينئذ.

وقد جاءت (أو) بمعنى (الواو) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويطرد مجيئها – بخاصة – في المواضع التي هي من قبيل عطف المرادِف، والمؤكِّد أو تلك التي توحي بوجود نوع من التلازم والاقتران بين المتعاطفين، أو تلك التي تأتي فيها (أو) بعد النفي وشبهه. (ابن مالك، 1990، ص364، 365) فمن عطف المرادف أو المؤكد:

- قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾. (البقرة،182) وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾. (النساء،110)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا**﴾. (النساء،112). فالراجح هنا – كما يرى ابن مالك وغيره. (ابن مالك، 1990، ص365 والزركشي، 2004، ص476) بأنّ (أو) في هذه الآيات ونحوها بمعنى (الواو)؛ لأن الإثم هو الجَنَف؛ ولأن ظلم النفس هو من عمل السوء، وكذلك الإثم فهو الخطيئة ذاتها، فلما كانت (أو) مبنية في الأصل على عدم التشريك من جهة، وكان كل من المعطوف والمعطوف عليه بمعنى واحد من جهة ثانية، وكان من المقرر لدى النحاة أنّ عطف الشيء على مرادفه هو ممّا تختص به (الواو)؛ كما في قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾. (المائدة،48). وقوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾. (يوسف،86)، دلّ ذلك أن تكون (أو) بمعنى (الواو) في هذه المواضع.

ومن عطف المتلازمين:

- قوله تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾. (طه، 44)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ (طه،113)؛ فالمعنى الراجح في الآيتين لدى كثير من المفسرين، أنّ التقدير: (لعله يتذكر ويخشى)، و(لعلهم يتقون ويُحْدِث لهم ذكراً)، أي: عظة وعبرة؛ لأن كلًّا من الخشية والتقوى لا يتنافى مع حدوث الذكر؛ إذ لا تصح التقوى إلا مع الذكر، فهو من لوازمها، كما لا تصح الخشية إلا بالتذكر؛ لأن التذكّر أيضا من لوازم الخشية، وعليه فالمعنى على الجمع والمصاحبة بين المعطوف والمعطوف عليه وعدم الإفراد، وهو المعنى الذي تفيده (الواو) وتدل عليه، بخلاف (أو) المبنية في الأصل على عدم الاشتراك، والدلالة على أحد الشيئين دون الآخر. (ابن عادل الحنبلي، 1998، ص397، 398)

ومن هذا قوله قال تعالى: ﴿**أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ.أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ**﴾.(الصافات،16، 17) معناه: (وَآباؤنا الأولون). كما يرى الخليل بن أحمد (ت175هـ) في كتابه الجمل، ومثله: ﴿**وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾.(الإنسان،24) معناه: (ولا تطع منهم آثما ولا كفورا). ومنه قول جرير: نال الخلافة أو كانت له قدرا .... كما أتى ربه موسى على قدرِ.

أي: وكانت له قدرا . (الخليل بن أحمد، 1985، ص289، 290) من الشواهد القاطعة على تحول (أو) إلى معنى الواو؛ وذلك من جهة ما يدل عليه المعنى في الآية من ضرورة تسلط الاستفهام على كل من المعطوف والمعطوف عليه معا؛ إذ هذا هو مناط القدرة الإلهية من جهة، وموضع زيادة الاستبعاد من قبل هؤلاء المنكرين من جهة أخرى؛ بدليل القراءة المشهورة للآية بالواو عند الجمهور. كما يقرب من ذلك أيضا ما يراه بعضهم في قوله تعالى: ﴿**فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا.عُذْرًا أَوْ نُذْرًا**﴾.

(المرسلات، 5، 6) من أنّ المعنى القريب للآية هو على تقدير: عُذرًا ونُذرًا؛ لأن الذكر الملقى أو الموحَى به إنما هو لأجل الإعذار والإنذار معًا، وليس مقصورًا على أحدهما فقط، دون الآخر.

وفي تتمة أضواء البيان: "و(أو) في قوله: ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ بمعنى الواو، أي: لأجل الإعذار والإنذار، وتجيء (أو) بمعنى الواو كما في قول الشاعر:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم .... ما بين ملجمِ مهره أو سافعِ. أي: وسافع ".

وما يُرجح أنّ (أو) بمعنى (الواو) في هاته الآية ويقويه ما حُكِي من قراءة إبراهيم التيمي وقتادة : ﴿عُذْرًا وَنُذْرًا﴾ بالواو العاطفة ولم يجعلا بينهما ألفا .

- ومن المواضع التي تقع فيها (أو) بمعنى (الواو) كذلك إذا وقعت بعد النفي وشبهه، كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (الإنسان، 24) حيث يرى كثير من النحاة والمفسرين أنّ (أو) إذا وقعت بعد النفي وشبهه صارت في معنى الواو، وصار الحكم المتعلق بطرفيها متسلّطا على كلّ واحد منهما، وانصرف إلى كلّ من المعطوف والمعطوف عليه، سواء على سبيل الإفراد أو على سبيل الجمع بينهما، ولما كان ذلك المعنى مقصودا في الآية الكريمة؛ ولا يعقل غيره – عُدِل عن (الواو) إلى (أو)؛ منعا لتوهم تعليق النفي بالمتعاطفين معا، لا بكل واحد، أو توهم اقتصاره على الجمع والمصاحبة بينهما ، دون الإفراد.

قال الزركشي: "فليس المراد من النّهي عن إطاعة أحدهما دون الآخر؛ بل النهي عن طاعتهما مفردين أو مجتمعين، وإنما ذكِرت (أو) لئلا يتوهم أن النهي عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان". (الزركشي، 2004، ص212) لذلك فإنّ استعمال (أو) ههنا أقوى في المعنى وأبلغ في الدلالة من المعنى المستفاد من (الواو)؛ لأنّها تدل على ما تدل عليه (الواو) وتزيد في أنها تدفع ما قد تحتمله (الواو) في مثل هذا الموضع ويتنافى مع المعنى المراد في الآية، وهو احتمال تسلط النفي على المعية والمصاحبة بين المتعاطفين؛ لأنه من المقرر لدى النحاة أن (الواو) بعد النفي وشبهه لا تكون

نصًا في الدلالة على نفي كل واحد من المتعاطفين؛ إذ قد تحتمل أن يكون النفي متسلطًا على أحدهما دون الآخر، وذلك من جهة أنها تحتمل تسلط النفي على المعية أو المصاحبة فقط دون غيرها، أي: تعلقه بالمجموع، لا بكل واحد من المتعاطفين على حدة. (ابن هشام، 1991، ص76 والرضي الأستراباذي، 1993، ص1330) وإلى هذا المعنى أشار الألوسي في تفسيره لهاته الآية الكريمة إذ حمل معنى (أو) على (الواو)، فأصل المعنى عنده ولا تطع منهم أحد النوعين، ولما كان أحد يغلب عليه في غير الإثبات العموم واحتمال غيره احتمال مرجوح، صار المعنى على النهي عن إطاعة هذا وهذا ولم يؤت بالواو لاحتمال الكلام عليه النهي عن المجموع، ويحصل امتثاله بالانتهاء عن واحد دون الآخر... لذلك قيل إنّ (أو) في الإثبات تفيد أحد الأمرين، وفي النفي تفيد نفي كلا الأمرين جميعا". (الألوسي، دت،ص 165)

- ومن الآيات التي ورد فيها حرف العطف (أو) بمعنى (الواو) قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ (البقرة،74)، فقد ذكر المفسرون (القرطبي، 2006، ص203 والرازي، 1981، ص 137، 138 وأبو حيان، 1993، ص428 والألوسي، دت، ص295) لـ (أو) في هاته الآية عدة معان؛ منها أنها بمعنى (الواو) وذلك لأنه لما كان ظاهر الآية قد يشعر أو ينبئ بدلالة (أو) على الشك والتردد، وهو مما يستحيل على الله - عز وجل - ولا يليق به، تأولها بعض العلماء على أكثر من وجه، فقالوا: إنها بمعنى (الواو)، وقالوا: إنها للتنويع، بمعنى أنّ من القلوب ما يشبه الحجارة في القسوة، ومنها ما هو أشد، وقالوا: إنها للإبهام على المخاطب وقد علم الله تعالى بها، وقالوا: هي للإضراب بمعنى (بل)، كما قالوا: بأنها للشك المصروف إلى المخاطب أو السامع، إلى غير ذلك من الأقوال والتوجيهات.

وذهب بعض النحاة والمفسرين إلى ورود (أو) بمعنى (الواو) في قوله تعالى: ﴿**فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾. (الذاريات،39)، وقد احتجوا لذلك واستدلوا عليه بثبوت القولين وورودهما معا على لسان فرعون وقومه في مواضع أخرى؛ كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾ (الأعراف،109)، وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾.(الشعراء، 27).

وقد رفض آخرون هذا التوجيه ورأوا أنه لا ضرورة تدعو إلى جعل (أو) بمعنى (الواو)، وإنما هي على بابها من الإبهام على السامع وقد علم فرعون أنه رسول الله حقا، أو أنها للشك والتردد، بمعنى أن فرعون قد نزّل نفسه منزلة الشاكّ المتردد في أمر موسى – مع علمه بأنه رسول من عند الله – من أجل المغالطة والتمويه على قومه. **(النحاس، 2008م، ص1035 والقرطبي، 2006، ص499 والألوسي، دت، ص15)**

2.2 مجيء حرف العطف (أو) بمعنى (بل):

يجيز الكوفيون أن تجيء (أو) للإضراب بمعنى (بل) مطلقا؛ دون قيد أو شرط، ووافقهم على ذلك كثير من النحاة. (ابن مالك، 1990، ص363 والمرادي،1992،ص229 وابن هشام، 1991، ص 76) وقد احتجوا لهذا بعدد من النصوص العربية الفصيحة؛ منها قول ذي الرمة :

بدتْ مثلَ قرنِ الشمسِ في رونق الضُّحى.... وصُورتُها أو أنتِ في العينِ أملحُ . (ديوان ذي الرمة، 1995، ص49) والتقدير: بل أنتِ في العين أملحُ.

وقد أجاز سيبويه (سيبويه، 1988، ص188) مجيء (أو) للإضراب بمعنى (بل) لكن بشرطين: أن يتقدمها نفي أو نهي، وأن يتكرر العامل معها، نحو: (ما قام زيدٌ أو ما قام عمرو)، و(لا يقم زيدٌ أو لا يقم عمرٌو)... ويؤيده أنه قال في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾.(الإنسان، 24) ولو قلت: أو لا تطع كفورا انقلب

المعنى، فيصيرُ إضرابا عن النهي الأول ونهيا عن الثاني فقط، وقال الكوفيون، وأبو علي، وأبو الفتح، وابن برهان: تأتي للإضراب مطلقا، واحتجوا بقول جرير: ماذا ترى في عيال قد برمت بهم .... لم أحص عدتهم إلّا بعداد .

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية .... لولا رجاؤك قد قتلت أولادي. (ديوان جرير، 1986، ص123)

والتقدير: بل زادوا ثمانية. (ابن هشام، 1991، ص76، 77)

ومن المواضع التي جاءت فيها (أو) بمعنى (بل) قوله تعالى: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.(البقرة، 100). فقد قرأ أبو السّمال بسكون الواو في (أوَ)؛ (سيبويه، 1988، ص188. وابن هشام، 1991، ص77 وأبو حيان، 2001 ، ص492) وهي على هذه القراءة عند كثير من النحاة بمعنى (بل) لإفادة معنى الإضراب وإخراج الكلام من معنى إلى آخر. والمعنى : (بلْ كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم). قال ابن جني في المحتسب – معلقا على هذه القراءة: فإذا كان كذلك كانت (أو) هذه حرفا واحداً، إلا أنّ معناها معنى (بل) للترك والتحول، بمنزلة (أم) المنقطعة، نحو قول العرب: إنها لَإبلٌ أم شاءٌ، فكأنه قال: بل، أهي شاءٌ؟ فكذلك معنى (أو) ها هنا... و(أو) هذه التي بمعنى (أم) المنقطعة – وكلتاهما بمعنى (بل) – موجودة في الكلام كثيرا. (ابن جني، 1986، ص99)

ويرى الإمام الألوسي أنّ الهمزة في (أوَ) للإنكار بمعنى: ما كان ينبغي... والواو للعطف على محذوف، أي: أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا... وهو من عطف الفعلية على الفعلية. ثم ذكر رأيا للأخفش بأنها – أي الواو- زائدة، ورأيا آخر للكسائي بأنها (أو) الساكنة حُركت واوُها بالفتح، وهي بمعنى (بل) الإضرابية عند الكوفيين. (الألوسي، د ت، ص335)

- ومن الآيات التي جاءت فيها (أو) العاطفة بمعنى (بل) كذلك، قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾.(الصافات،147)؛ وهذا مذهب الفراء في الآية؛ فهو يرى بأنّ العرب تفعل ذلك في (أَوْ)، فيجعلونها نسَقا مُفرِّقةً لمعنى ما صلحت فيه (أحَدٌ) و(إِحْدَى)، كقولهم: اضرب أحدهما زيدا أو عمرا، فإذا وقعت في كلام لا يراد به أحدٌ وإن صلحت، جعلوها على جهة (بل)؛ كقولهم: اذهب إلى فلان أو دَعْ ذلك فلا تبرح اليوم، فقد دلك هذا على أن الرجل قد رجع عن أمره الأول، وجعل (أو) في معنى (بل)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾.(الصافات، 147). (الفراء، د ت ، ص72)

وممن يُجيزون مجيء (أو) بمعنى (بل) في هاته الآية الكريمة الرضي في شرح الكافية؛ يقول عن قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾، أي: بل يزيدون، وإنما جاز الإضراب بـ (بل) في كلامه تعالى، لأنه أخبر عنهم بأنهم مائة ألف، بناء على ما يُحزره الناس من غير تعمق، مع كونه تعالى عالما بعددهم وأنهم يزيدون، ثم أخذ تعالى، في التحقيق، فأضرب عما يغلط فيه غيره بناء منهم على ظاهر الحزر، أي: أرسلناه إلى جماعة يحزرهم الناس مائة ألف وهم كانوا زائدين على ذلك. (الرضي، 1996 ، ص1325) وإلى هذا المعنى أشار الألوسي بقوله: و(أو) – على ما نقل ابن عباس رضي الله عنهما- بمعنى (بل)، وقيل: بمعنى (الواو) وبها قرأ جعفر بن محمد – رضي الله عنهما – وقيل: للإبهام على المخاطب، وقال المبرد وكثير من البصريين: للشك على معنى أنّ من رآهم من البشر شك في عددهم، وقال: مائة ألف أو يزيدون... (الألوسي، دت، ص147)

3. مجيء حرف العطف (الواو) بمعنى (أو) و (الفاء):

(الواو) أم باب حروف العطف، لكثرة مجالها فيه وهي مشركة في الإعراب والحكم. وهي عند جمهور النحويين لمطلق الجمع بين المتعاطفين. فإذا قلت: (قام زيدٌ وعمرو) احتمل ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكونا قاما معا في وقت واحد.

والوجه الثاني: أن يكون المتقدم قام أولا.

والوجه الثالث: أن يكون المتأخر قام أولا. قال سيبويه: وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء. (المرادي، 1992، ص158)

وإذا كان الأصل في (الواو) أنها لمطلق الجمع بين المتعاطفين، فإن من النحاة من ذهب إلى أنها قد تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تنوب فيها عن غيرها من حروف العطف، ومن ذلك نيابتها عن حرفي العطف (أو)، و(الفاء)، واحتجوا لذلك بشواهد وأمثلة من كلام العرب ومن القرآن الكريم .

1.3 مجيء حرف العطف (الواو) بمعنى (أو):

قد تخرج (الواو) عن معناها الأصلي في الاستعمال – وهو الدلالة على مطلق الجمع – إلى معنى (أو) وذلك إذا جاءت بمعناها في الدلالة على التقسيم – وهو ما ذهب إليه ابن مالك – فإنك تقول: الكلمة اسم وفعل وحرف، كما تقول: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، واحتج على ذلك بقول الشاعر :

ونصرٌ مولانا ونعلم أنه .... كما الناس مجروم عليه وجارمُ.

أي: بعضهم مجروم عليه، وبعضهم جارم، أو منهم مجروم عليه، ومنهم جارم. ومثله قول الآخر:

فقالوا لنا ثنتان لا بدّ منهما .... صدورُ رماح أُشرعت أو سلاسلُ.

فلو جيء بالواو هنا لكان جائزا، ولكان أوفق لقوله: (ثنتان لا بد منهما) إلا أنه يسامح لوضوح المعنى. (ابن مالك، 1982، ص 1225)

كما تخرج (الواو) إلى معنى (أو) إذا كانت بمعناها في الإباحة، وهو ما ذهب إليه الزمخشري، وزعم أنه قد يقال: جالس الحسن وابن سيرين، ويُراد به: طلب مجالسة أحدهما؛ لأنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما لكان متمثلاً.

(الزمخشري، 1998، ص 405) ولهذا قال سبحانه: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بعد ذكر ثلاثة وسبعة في قوله:﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾.(البقرة، 196)؛ لئلا يتوهم إرادة الإباحة. (ابن هشام، 1991، ص413)

هذا وقد تأتي (الواو) بمعنى (أو) إذا كانت بمعناها في التخيير، وقد استدل بعضهم على ذلك بقول الشاعر :

وقالوا نأت فاختر لها الصّبر والبُكا.... فقلتُ البكا أشفى إذن لغليلي.

وذلك من جهة أنه لا يجتمع الصبر مع البكاء ومن ثم فالواو في البيت قد جاءت دالة على التخيير لا الجمع، وصارت نائبة عن (أو) في هذا المعنى. وهذا ما رفضه المخالفون وأجابوا عنه بأن الأصل في البيت هو: فاختر لها من الصبر والبكاء أي: أحدهما، ومن مجموعهما، ثم حذف حرف الجر، وهو كثير مطرد في كلام العرب. (ابن هشام، 1991، ص413)

ومن المواضع التي وردت فيها (الواو) بمعنى (أو) في القرآن الكريم– عند كثير من المفسرين – قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.(البقرة،98)؛ فقد دلت الآية الكريمة على أنّ الله تعالى عدوّ لمن عادى الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن (الواو) هنا بمعنى (أو)، إذ ليس المراد بها معنى الجمع أو تعلق الحكم بمعاداة هؤلاء مجتمعين، وإنما المعنى أنّ من عادى واحدا ممّن ذُكر فالله عدوّهُ، إذ معاداة واحد ممّن ذكر معاداة لله - سبحانه- وكفر به. (أبو حيان، 1993، ص490 و الرازي، 1981، ص215 والبغوي، 1409هـ، ص125)

ومن المواضع التي وردت فيها (الواو) بمعنى (أو) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.(النساء، 136)؛ فالكفرُ والضلال البعيد - وهو ما تضمنه جواب الشرط في هاته الآية – ليس مترتبا على الكفر بمجموع ما ذُكر، بل المعنى: أنّ من يكفر بشيء من ذلك فهو في كفر وفي

ضلال بعيد (أبو حيان، 1993، ص387) ذلك أنّ الحكم المتعلق بالأمور المتعاطفة بالواو قد يرجع إلى كلّ واحد، وقد يرجع إلى المجموع، والتعويل على القرائن. وههنا قد دلت القرينة على الأول لأنّ الإيمان بالكل واجبٌ، والكلّ ينتفي بانتفاء البعض. (الألوسي، د ت، ص170)

2.3 مجيء حرف العطف(الواو) بمعنى (الفاء):

من المعاني التي تفيدها (الواو) العاطفة معنى الفاء؛ فتفيد التعقيب والسببية، سواء في الخبر أو في الطلب، فإذا قلت – مثلا - : أعطيته وشكر، فإن مثل هذا التركيب يحتمل أن يكون المراد منه هو مجرد الإخبار عما حصل ووقع فقط، ومن ثم تكون (الواو) حينئذ على بابها وأصلها من الدلالة على مطلق الجمع بين المتعاطفين، كما يحتمل أيضا أن يكون المراد منه هو الدلالة على التعقيب والتسبب، وعليه تكون الواو فيه نائبة عن الفاء وبمنزلتها.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنّ استعمال (الواو) بمعنى (الفاء) ونيابتها عنها قد ورد في كثير من المواضع، سواء بعد الخبر أو بعد الطلب؛ حيث حمل كثير من النحاة والمفسرين (الواو) في مواضع كثيرة من القرآن على أنها بمعنى (الفاء) لسبب من المعنى.

فمن الأمثلة على مجيء (الواو) بمعنى (الفاء) بعد الطلب قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.(الأنعام،27)، بنصب كل من (نكذب) و(تكون) بأن مضمرة في القراءة المشهورة؛ إذ بقاء (الواو) على معناها من الجمع والمعية يُدْخِل الأمور الثلاثة في التمني، وهذا ما استبعده بعضهم، لأن التمني يتعلق بالأمر المستحيل وهو هنا الرد والعودة إلى الدنيا، أما عدم التكذيب والإيمان فليس مما يستحيل فلا يندرج تحت التمني، وإنما كلاهما مترتب أو نتيجة للرد بعد العلم بالحق، والتقدير: (يا ليتنا نُرد فلا نكذّبَ)، فتكون (الواو) ههنا

بمنزلة الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.(الزمر،58)، وقد جعلها ابن الأنباري مبدلة من الفاء ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود وابن إسحاق: (فَلَا نُكَذبَ) بالفاء على النصب في موضع (الواو) .(الرازي، 1981، ص 202، 203. والألوسي، د ت، ص 128)

- ومن الأمثلة على مجيء (الواو) بمعنى (الفاء) بعد الخبر قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.(النمل،15)، إذ يرى كثير من النحاة والمفسرين أنّ (الواو) في قوله تعالى (وَقَالَا) بمعنى الفاء؛ لأنّ هذا مقامُ (الفاء)، فهو كقولك: أعطيته فشكر. قال الزمخشري: " فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيتُه فشكر، ومنعتُه فصبر؟ قلتُ: بلى، ولكنَّ عَطْفَه بالواو إشعارٌ بأنّ ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيءٌ من مواجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، فالمعنى إذن على إرادة التعقيب والتسبب، والتقدير: ولقد آتيناهما علما، فعملا به وعلّماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، وقالا الحمد لله الذي فضّلنا...". (الزمخشري، 1998، ص 435)

وقد علّق الألوسي على رأي الزمخشري هذا بقوله: وحاصل الأمر أنّ إيتاء العلم من جلائل النعم وفواضل المنح يستدعي إحداث الشكر أكثر مما ذُكر فجيء بالواو لأنها تستدعي إضمارا فيُضمر ما يقتضيه موجب الشكر من قوله: فعملا به وعلماه فإنه شكرٌ فعلي، وقوله: وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة فإنه شكرٌ قلبي، وبقوله تعالى: ﴿وَقَالَا...﴾ تتمُ أنواع الشّكر لأنه شُكرٌ لساني... (الألوسي، د ت، ص 169، 170)

4. مجيء حرف العطف (الفاء) بمعنى (الواو) و(ثم):

الفاء العاطفة من الحروف التي تُشرك في الإعراب والحكم، وتفيد معنى التعقيب. فإذا قلت: قام زيدٌ فعمرٌو، دلت على أنّ قيام عمرو بعد زيد، بلا مهلة.

فتشارك (ثمّ) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، و(ثمّ) تفيد الانفصال. هذا مذهب البصريين، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه. (المرادي، 1992، ص61) ولأجل ذلك نسبوا إليها معانٍ أخرى ليست لها في الأصل، وإنما تجيء فيها نائبة عن غيرها من حروف العطف، ومن ذلك نيابتها عن (الواو)، و(ثم).

1.4 مجيء حرف العطف (الفاء) بمعنى (الواو)

ذهب الكوفيون – ووافقهم بعض البصريين – إلى أن الفاء قد تجيء لمطلق الجمع، كالواو تماما، فلا تفيد الترتيب ولا التعقيب، وقيّد الجرمي ذلك بالأماكن والأمصار على وجه الخصوص، نحو قول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ .... بسقطِ اللوى بين الدَّخول فحوملِ.

(ديوان امرئ القيس، د ت، ص8) ونحو قولهم: (مُطرنا مكان كذا فمكان كذا) وإن كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد.

فالفاء في قوله: (فحوملِ) في موضع (الواو)؛ لأن البينيّة – كما تقدم – ممّا يقتضي العطف بالواو. (ابن هشام، 1991، ص 183. وينظر: المرادي، 1992، ص 63) ومن المواضع التي جاءت فيها الفاء العاطفة بمعنى الواو في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾.(الأعراف،4)؛ لأنه لما كان البأس سابقا في الوجود على الإهلاك، وواقعا قبله، وهو في الآية مؤخر عنه، ذهب بعض النحاة والمفسرين (الفراء، د ت، ص371، 372)) إلى جواز أن تكون الفاء في الآية لمطلق الجمع كالواو، فلا تفيد الترتيب، وأن المعنى على تقدير: (أهلكناها وجاءها بأسنا). وردّ بعضهم على ذلك بعدم الجواز بأن قالوا بتقدير محذوف، والمعنى: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا، وعليه فالفاء على بابها من الدلالة على الترتيب المعنوي، إذ مجيء البأس تال لإرادة الإهلاك. كما قالوا بأن الفاء في الآية للترتيب الذي منه عطفُ المفصل على المجمل، كما في قوله تعالى:

﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً.فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا**﴾.(الواقعة،35، 36)، وهذا مما تختص به الفاء وتنفرد به.

وقال الألوسي: ﴿**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا**﴾ أي: عذابنا، وفيه اعتراض بأنّ فيه إشكالا أصوليا، وهو أنّ الإرادة إن كانت باعتبار تعلقها التنجيزي فمجيء البأس مقارنٌ لها لا متعقبٌ لها وبعدها، وإن لم يرد ذلك فهي قديمة لزم البأس أن يعقبها، فإن تأخر عنها لزم العطف بـ (ثمّ). وأجاب عن ذلك بأنّ المراد التعلق التنجيزي قبل الوقوع، أي القصدُ بالإهلاك. (الألوسي، د ت، ص 78)

ومن المواضع التي وردت فيها (الفاء) بمعنى(الواو) أيضا قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**﴾ (النجم،8)، والمقصود – عند كثير من الفسرين – هو جبريل عليه السلام، فقد ذهب الفراء إلى أن الفاء في (فَتَدَلَّى) بمعنى (الواو)؛ والتقدير: ثم تدلّى جبريل عليه السلام ودنا؛ إذ التدلِّي، وهو النزول، سابق على الدُنُوَ، وسببٌ له، والدّنُو، وهو القرب، تالٍ للتدلي وناتجٌ عنه. وذلك جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا أو كالواحد قدمت أيهما شئت، وقلت: فدنا، فقرب وقرُب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني لأنّ الإساءة والشّتم شيء واحد. وكذلك قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾.(القمر،1) فالمعنى – والله أعلم – انشقّ القمرُ واقتربت الساعة. (القرطبي، 2006، ص16، 17. والفراء، د ت، ص 95، 96)

وإذا كان من المقرر لدى جمهور النحاة أن عطف المرادف هو مما تختص به (الواو) دون (الفاء)، فإنّ في هذا دليلا على كون (الفاء) ههنا بمعنى (الواو).

2.4 مجيء حرف العطف (الفاء) بمعنى (ثم):

ذهب جماعة من النحاة – ومنهم ابن مالك – إلى أن الفاء قد تقع موقع (ثم) فتكون للمهلة، لا للاتصال والتعقيب، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً**﴾.(الحج،63). وتأوّلوا الآية على أنّ (فَتُصْبِحُ) معطوف على محذوف، تقديره: أنبتنا به، فطال النبتُ، فتصبح ... وقيل:

بل هي للتعقيب، وتعقيب كلّ شيء بحسبه. (ابن مالك، 1990، ص354. و ينظر: المرادي، 1992، ص 62)

وقد وردت (الفاء) بمعنى (ثم) فدلت على المهلة والتراخي في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**﴾.(المؤمنون،14)، فالفاءات الثلاث في (فخلقنا العلقة) وفي (فخلقنا المضغة) وفي (فكسونا) عند عدد من النحاة والمفسرين هي بمعنى (ثم) في الدلالة على المهلة والتراخي، (ابن مالك، 1990، ص354. والمرادي، 1992، ص 62. وينظر: ابن هشام، 1991، ص 184. وينظر: الزركشي، 2004، ص295) وذلك لتراخي معطوفاتها؛ والدليل على ذلك العطف بـ (ثم) في جميع مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾.(الحج،5)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا**﴾.(غافر،67). بينما يرى فريق آخر من النحاة والمفسرين أنّ (الفاء) في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً...**﴾ على أصلها في الدلالة على التعقيب، لذلك عطفَ خلق العلقةِ مضغة بالفاء لأنّ الانتقال من العلقة إلى المضغة يشبه تعقيب شيء عن شيء إذ اللحم والدم الجامد متقاربان فتطورهما قريب وإن كان مُكث كلّ طور مدّة طويلة. (ابن عاشور، 1984، ص 24)

ومن المواضع الأخرى التي قيل فيها بمجيء (الفاء) بمعنى (ثم) -كذلك- قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾.(الحج، 63)؛ إذ يرى ابن مالك أن الفاء في (فَتُصْبِحُ) بمعنى (ثم) في الدلالة على المهلة؛ (ابن مالك، 1990، ص 354) وذلك لأن اخضرار الأرض لا يتصل

مباشرة بإنزال الماء ولا يعقبه، وإنما يحتاج ذلك ويتطلب فترة من الزمن. هذا ويرى فريق من النحاة والمفسرين أنّ (الفاء) في قوله: (فَتُصْبِحُ) على أصلها في الدلالة على الترتيب والتعقيب، وأجابوا عن ذلك بعدد من الوجوه؛منها: أنّ جملة (فَتُصْبِحُ) معطوفة على جملة محذوفة، والتقدير: (أنبتنا به، فطال النبت، فتصبحُ...). ومنها أن (الفاء) في الآية للسببية، وفاء السببية لا تقتضي التعقيب.

5. مجيء حرف العطف (ثم) بمعنى (الواو) و(الفاء):

الأصل في حرف العطف (ثُمّ) أن يُشرك في الحُكم ويفيد الترتيب بمهلة. فإذا قلت: قام زيدٌ ثم عمرٌو، آذنت بأنّ قيام الثاني بعد قيام الأول بمهلة. هذا مذهب الجمهور، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه، ومن ذلك مجيء (ثمّ) بمعنى (الواو) و (الفاء) كما يراه بعض النحاة والمفسرين. (المرادي، 1992، ص 426- 428)

1.5 مجيء حرف العطف (ثم) بمعنى (الواو):

ذهب بعض النحاة إلى مجيء (ثم) بمعنى (الواو)، فلا تفيد حينئذ الترتيب ولا يلزمها هذا المعنى، وبخاصة في عطف الجمل، وإنما تكون بمعنى الواو لمطلق الجمع كما في قوله تعالى: ﴿**فإليْنا مرجِعُهمْ ثُمّ اللهُ شهيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**﴾.(يونس،46) أي: وهو شهيد...، كما استدلوا على رأيهم هذا بعدد من الشواهد، منها قول الشاعر:

إنّ من ساد ثم ساد أبوهُ .... ثم قد سادَ قبل ذلك جدّهُ .

وقول الآخر:

سألت ربيعة من خيرها .... أبا ثم أما؟ فقالت: لِمَه؟ (ابن فارس، 1997، ص 106)

ومن مواضع مجيء (ثمّ) بمعنى (الواو) قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**﴾.(الأعراف،11). فثُمّ في قوله:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾ في معنى (الواو) كما يرى الأخفش في معاني القرآن. والمعنى: (وصوّرناكم). (الأخفش، 1990، ص 320، 321) وقال آخرون: المعنى: (ابتدأنا

خلقكم)، لأنه تعالى ابتدأ خلق آدم عليه السلام من تراب، ثمّ صوره. وابتدأ خلق الإنسان من نطفة ثم صوّره، وفي هاته الحال تكون (ثُمّ) على أصلها في إفادة الترتيب والتراخي. (ابن فارس، 1997، ص 106)

ومن الآيات التي خرجت فيها (ثمّ) العاطفة إلى معنى (الواو) قوله تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾.(الزمر،6)؛ لأنه لما كان خلق بني آدم متأخرًا في الواقع عن خلق زوجه حواء، لزم أن تكون (ثم) في الآية بمعنى الواو، وأن لا تفيد الترتيب؛ والدليل على ذلك مجيء العطف بالواو بدلا من (ثم) في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾.(الأعراف،189)، لأنّ موضوع الآيتين واحد. وهما مسوقتان للاستدلال على وحدانية الله سبحانه وإثبات قدرته في خلقه.

وقد أشار الزمخشري إلى أنه لا يقصد من العطف بـ (ثمّ) في قوله تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ الترتيب الزماني، بل إنّ الغرض الذي وضعت لأجله (ثم) هو الترتيب في الحال والمنزلة وتعظيم الحال فيما عُطف، وتحريك النفوس لمعرفة هذه النعمة العظيمة، فلما قُصد الإنعام والامتنان وتعداد ذلك تعظيما وتفخيما جاء العطف بـ(ثم). (الزمخشري، 1998، ص 289، 290. وساهرة حمادة سالم، وخضر حسين صالح، 2015، ص 181)

وإلى هذا المعنى - كذلك- أشار الألوسي في تفسيره؛ بقوله: والآيتان وإن كانتا دالتين على ما مرّ من الصفات الجليلة لكنّ خلق حواء من الضلع أعظم وأجلب للتعجب، ولذا عبّر عنه بالجعل دون الخلق فثُمّ للتراخي الرتبي، ويجوز فيه كون الثاني أعلى مرتبة من الأول وعكسه. (الألوسي، د ت، ص 240)

2.5 مجيء حرف العطف (ثم) بمعنى (الفاء):

يذكر بعض النحاة والمفسرين مواضع لمجيء حرف العطف (ثم) بمعنى الفاء، فلا تفيد التراخي بين المتعاطفين، وإنما يكون ما بعدها متصلا بما قبلها مباشرة بلا مهلة أو تراخ، كما في قولك: أعجبني ما صنعتَ اليومَ ثم ما صنعتَ أمسِ أعجبُ؛ فثُم في هذا القول لترتيب الإخبار، ولا تراخي أو مهلة بين الإخبارين، وهذا رأي الفراء وقد وافقه ابن مالك وآخرون. (الفراء، د ت، ص415، وابن مالك، 1990، ص355، والمرادي، 1992، ص 427، 428. وابن هشام، 1991، ص 136، 137) وقد استدلوا على ذلك بعدد من الشواهد، لعلّ من أشهرها قول الشاعر:

كهزِّ الرُّدينيّ تحت العجاج .... جرى في الأنابيب ثمّ اضطرب.

أي: فاضطرب؛ إذ الهزّ متى جرى في أنابيب الرمح يعقبه الاضطراب ولا يتراخى عنه. والظاهر أنّ (ثم) في هذا البيت واقعة موقع (الفاء). (ابن هشام، 1991، ص 137)

وقال ابن مالك: "فثم هنا واقعة موقع الفاء التي يعطف بها مفصل على مجمل؛ لأن جريان الهز في الأنابيب هو اضطراب المهزوز، ولكن في الاضطراب تفصيل، وفي الهزّ إجمال". (ابن مالك، 1990، ص 355)

ومن مواضع مجيء (ثمّ) بمعنى (الفاء) لإفادة الترتيب والتعقيب في القرآن الكريم - كما يرى بعض النحاة والمفسرين- قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾.(الأنعام،153، 154)، على أن (ثم) في هذه الآية للترتيب في الإخبار والذكر، ويمكن حملها كذلك على أنّها بمعنى (الفاء)؛ وذلك من منطلق أنه لا تراخي ولا مهلة في ترتيب الإخبار والذكر.

قال الرضي: وقد تجيء (ثم) لمجرد الترتيب في الذكر والتدرج في دَرج الارتقاء، وذِكْر ما هو الأولى ثم الأولى، من دون اعتبار التراخي والبُعد بين تلك الدرج ولا أنّ الثاني بعد الأول في الزمان، بل ربما يكون قبله، كما في قول الشاعر:

إنَّ منْ ساد ثم ساد أبوه .... ثم قد ساد قبل ذلك جدُّهُ .

فالمقصود ترتيب درجات معالي الممدوح، فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جدّه؛ لأنّ سيادة نفسه أخصّ ثمّ سيادة الأب ثمّ سيادة الجدّ. وإن كانت سيادة الأب مقدمة في الزمان على سيادة نفسه، فثُمّ - ههنا – كالفاء في قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾. (الزمر، 72). (الرضي الأستراباذي، 1993، ص 1316)

وختاما نخلص إلى القول بأنّ التناوب بين حروف العطف من الظواهر الشائعة الاستعمال في الكلام العربي الفصيح، وفي القرآن الكريم وهو ما حاولت هذه الدراسة إبرازه من خلال بعض النماذج القرآنية المختارة؛ معتمدة في ذلك على آراء بعض النحاة والمفسرين، وبيان موقفهم من هذه المسألة. وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج هذه أهمها:

- التناوب بين حروف العطف ظاهرة لغوية شائعة الاستعمال في الكلام العربي الفصيح وفي القرآن الكريم، وهو ما حاولت الدراسة إبرازه وتوضيحه من خلال الفقرات السابقة.

- تبدو ظاهرة التناوب بارزة وبوضوح في بعض حروف العطف فيما بينها، ومن ذلك نيابة حرف العطف (أو) عن الواو و(بل)، ونيابة الواو عن (أو) والفاء، ونيابة حرف العطف الفاء عن الواو و(ثم)، ونيابة (ثم) عن الواو والفاء ...

- أنّ هذه الحروف حينما تنوب عن بعضها تضفي معان جديدة في الكلام الذي ترد فيه زيادة على معناها الأصلي ممّا يؤدي إلى إثراء المعنى وتعدده على نحو ما بيّنه كثير من النحاة والمفسرين.

6. قائمة المراجع:

1. **الأخفش** أبو الحسن سعيد بن مسعدة، كتاب معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ - 1990م.
2. **الأستراباذي** رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1402هـ - 1982م.
3. **الأشموني**، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1375هـ- 1955م.
4. **الألوسي** أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
5. **الأنصاري** أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، د ط، 1411هـ - 1991م.
6. **البغوي** أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، د ط، 1409هـ
7. **ابن جني** أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دط، دت.
8. **ابن جني** أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار، دار سركين للطباعة والنشر، ط2، 1406هـ، 1986م.
9. **أبو حيان** محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1413هـ - 1993م.
10. **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، د ت.

11. **ديوان جرير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د ط، 1406هـ- 1986م.
12. **ديوان ذي الرمة**، تقديم وشرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415هـ- 1995م.
13. **الرازي** فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1401هـ - 1981م.
14. **الزركشي** بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2004.
15. **الزمخشري** جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ - 1998م.
16. **ساهرة حمادة سالم**، وخضر حسين صالح، فروق حروف المعاني بين آيات المتشابه اللفظي في تفسير الزمخشري، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإسلامية، العراق، العدد 36، السنة 7، 2015م.
17. **سيبويه** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ - 1988م.
18. **السيوطي** جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، د ت.
19. **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ- 1996م.
20. **ابن عادل** الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.

21. **ابن عاشور** محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م.
22. **ابن فارس** أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418هـ - 1997م.
23. **الفراء** أبو زكرياء يحي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دط، د ت.
24. **الفراهيدي** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ط5، 1995م.
25. **القرطبي** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1427هـ - 2006م.
26. **ابن مالك** جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي، شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1410هـ- 1990م.
27. **ابن مالك** جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة، العربية السعودية، ط1، 1982م.
28. **المرادي** الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ- 1992م.
29. **النحاس** أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، عناية الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ- 2008م.